

ظاهرة تفسير الأحلام بين الجذ والأوهام...

حوار - بثينة قاسم،

انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة تفسير الأحلام، وصاحبها كثير من اللغط بين كونها علماً له منهجيته وقواعده التي يتكأ عليها وبين كونها مجرد ملكات إنسانية خاصة مرتبطة بقدرات المرء المتفاوتة على التفسير وربط الإشارات بالواقع..

وتؤكد د. سامية الساعاتي أستاذ علم الاجتماع أن الحالة الاقتصادية الراهنه وكثرة المشاكل الاجتماعية التي تواجه أفراد أي مجتمع هي السبب الرئيسي في سعي الناس وراء البحث عن الغيبيات كتفسير الأحلام وقراءة الكف والأبراج وما شابه، فهل يقارن تأويل الرؤى بقراءة الفتجان أو الكف مثلاً؟

د. محمد المسيري أستاذ التفسير بجامعة الأزهر، يقول إن تفسير الرؤيا علم وليس مجرد ضرب من الظن والاجتهاد ولذا فهو يحتاج لمميزات وصفات كثيرة أهمها الشفافية وتوطيد الصلة مع الله سبحانه وتعالى، مؤكداً أن هناك أنواعاً من الرؤى أخبرنا بها الرسول - ص - منها الرؤيا الصالحة والرؤيا التخزيبية (أضغاث أحلام) وهناك أيضاً رؤيا المرء لما يتمنى أن يحدث أو يفعله..

ويحدثنا الرسول - ص - أن الإنسان إذا رأى رؤيا، فلا يحدث بها إلا شخصاً لبيباً قد يكون حبيباً له وقريباً منه، (فالليبي) هو العالم الذي يحاول أن يؤولها التأويل المناسب وفق معرفته وملكته الخاصة، و(الحبيب) يتمنى لحبيبه الخير على الدوام، أما إذا رأى المرء ما يكره، فليضع ما أوصانا به الرسول الأعظم - ص - أن يتقل عن يساره ثلاث مرات ويتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويغير مضجعه وإن استطاع أن يقوم ويصلي فذلك خير..

نصوص قرآنية، أحاديث نبوية، مجموعة تحذيرات وتوصيات تجعلنا نقف مذهولين أما الحلم كظاهرة والحلم كتفسير.. وبين هذا وذاك، فإنه من المناسب أن نلتقي برجل له مكانته وخصوصيته في عالم تفسير الرؤى والأحلام، وإلى أي حد نأخذ بالأحلام كمسلمات للواقع؟!

الشيخ سيد حمدي أشهر مفسري الأحلام في العالم العربي وأكثرهم مصداقية، صاحب الإطلاقة المميزة والمحبوبة على قناة المحور التلفزيونية عبر البرنامج الشهير (أحلام)، ومفسر أحلام الرؤساء والملوك، نشأ وترعرع في قرية نجع سالم بمركز نجع حمادي بمحافظة قنا، ولم يكن يتوقع ذات يوم أنه سيصبح أكثر مفسري الأحلام حظوة وشهرة وقبولاً، ولكن كل ما يتذكره أنه حينما كان في العاشرة من عمره رأى في منامه أن سيدنا يوسف عليه السلام يعطيه كوباً من اللبن، فشربه، وسأله: ما هذا؟ فقال سيدنا يوسف: هذا تفسير الرؤى والأحلام. فاستيقظ من نومه مندهشاً، وقص رؤياه على والدته فقالت له، ستكون مفسراً للأحلام.

التقيناها في القاهرة، كتلة من الهدوء والاتزان وغاية في الكرم على كافة المستويات الإنسانية، الفكرية، الأدبية والأخلاقية، ولم يبخل علينا في إشباع فضولنا ورغبتنا في معرفة التالي:

■ الوالدة فسرت لك الرؤيا، هل يعني ذلك أن تفسير الرؤى يسري في دماء العائلة؟

- لا، الوالدة فسرتها بالفطرة، ولم تكن تفسر الأحلام وإنما جاءت معها بالبركة، بعدها أخذتني للشيخ الذي درست على يده القرآن الكريم، فأول الرؤيا على أنني سأكون مفسراً للرؤى وسيديع صيتي



جانب من الحوار مع الشيخ سيد حمدي

في شتى بقاع العالم.

■ هل تفسير الأحلام والرؤى علم، أم موهبة؟
- إن تفسير الأحلام ليس قراءة أو بحثاً، وإنما موهبة ربانية، لها علاقة بما يفتح الله على المرء من ملكة وبركة خاصة، ولم أقرأ في كتب تفسير الأحلام بل هي فراسة وليست دراسة، ولكل من البشر تأويل خاص برؤاهم وإن رأوا ذات الحلم أو الرؤيا، وعليه فإن قراءة كتب تفسير الأحلام وحدها غير كافية لتفسير الرؤى، لأن تفسير الرؤيا يختلف من راء إلى آخر.

■ ما الفارق بين الحلم والرؤيا؟

- الحلم كما قال النبي - ص - في الحديث الصحيح إنه من الشيطان كروية الثعبان أو الكلب أو العقرب، أما الرؤيا فهي من الرحمن وبناءً على تعليمات ربانية ملكك من الملائكة وهو (روحاني) فيرسلها للعقل البشري، تستقبلها 13 ألف مليون خلية.

■ ماذا يعني لك لقب الطالب المثالي على مستوى الجمهورية؟

- كان ذلك حينما كنت طالباً في الكلية وتم ترشيحي من قبل جامعة الأزهر بأسبوط، إذ أنني حفظت القرآن الكريم ودرست الكتب السماوية "الإنجيل، التوراة والمزامير"، كما أنني حفظت 17 ألف حديث عن الرسول - ص - عن البخاري ومسلم، ودرست كتب التاريخ الإسلامية والمعلقات السبع وكتب الشعراء القدماء، كما أنني حفظت ألفية ابن مالك ودرست العلوم الشرعية، وبناءً عليه، فزت بلقب الطالب المثالي على مستوى الجمهورية لعام 1983.

■ ما الفارق الذي تلحظه كمفسر أحلام في حركة مفسري الأحلام في عالمنا اليوم؟

- في الحقيقة، قد لا أتجنى على أحد حينما أقول إنني لا أرى مفسراً للأحلام يؤدي عمله كرسالة.

■ حتى في المملكة العربية السعودية؟

- نعم، حتى في المملكة العربية السعودية، فأغلب مفسري الأحلام اليوم لا يؤدي عمله على أنه رسالة يحاول من خلالها الدعوة إلى الطريق المستقيم وإبعاد الناس عن الرذيلة، وقد كانت هذه مهمة سيدنا يوسف عليه السلام عندما دعا قومه في سورة يوسف بالقول: "ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها، أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان، إن الحكم إلا

المعروفة السبع بقرات والسبع سنبلات وتحدث عن موضوع المجاعة والاقتصاد المصري.

لا بد للمفسر أن يكون له مصداقية لدى الجمهور، وأن يشيد العامة والخاصة بتفسيراته، هذا أكبر دليل أنه محق.

■ ماذا لو ظهر على الساحة مفسر يمتلك ذات الخصائص والقدرات التي ذكرتموها، هل سيؤدي ذلك إلى ازدهار العلم وتقدمه، أم سيحول التنافس دون ذلك؟

- أتمنى من قلبي أن يخرج على الساحة واحد واثنان و... والأصل أننا نقدم رسالة تؤدي وفق أطر ومعايير شرعية، وعلينا جميعاً أن نحارب الخرافات والخزعبلات والترهات، وما هو منتشر الآن من الأعيب تضرر بعقلية الإنسان المسلم كالودع والكوتشينه والرمل وغيرها من أمور النصب والاحتيال.

■ هل صادف أن حلمت حلماً له علاقة بتغيير مجريات بلد في السياسة أو الاقتصاد أو ما شابه، فسارعت بالاتصال بالمفنيين وتببهم؟

- لقد صادف أن عرض علي مؤخراً وأنا في الدوحة حيث استضافتي ببرنامج تلفزيوني على الهواء، اتصال إحدى الأخوات من سلطنة عمان وسردها لي حلمها المتمثل بطيور أبيبيل ترمي أحجاراً على عمان ومياه ساخنة تنزل من السماء، ففسرت لها أن فياضانات غزيرة ستشهدا السلطنة مصحوبة برياح عاتية، وبعدها بأسبوع حدث للأراضي العمانية ما حدث!

■ إلى أي مدى تؤخذ الأحلام كمسلمات للحقائق، بمعنى إذا كان طريقنا مبنياً ورأينا حلماً يأمرنا بالاتجاه شمالاً، من تصدق؟

- نحن نأخذ بالأسباب الظاهرية فقط، ولا يمكن للأحلام أو الرؤى أن تغير شراً، كما لا يجوز في شريعة الإسلام أن أستمداً حكماً من رؤيا، وإذا كانت الرؤيا تأمرني بمخالفة الشرع، وأوافق الشرع وأخالف الرؤيا، ولو أن الرؤيا وافقت الشرع، فمرحياً بأخذ الرؤيا مع موافقة الشرع، لأن الرسول - ص - يقول: "تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وسنتي".

■ البعض يقول يا فضيلة الشيخ أنه حينما بدأ نجمكم بالسطوع، أخذتم بالتجارة بالعلم، ما تعليقك؟

- لا، هذا غير صحيح، والذي يقول غير ذلك يأتيني بالدليل، ولكني حينما عمل حلقة للتلفزيون مثلاً، لا يتفق أن أعملها مجاناً، لأن أهل التجميل يتقاضون مردوداً مادياً وأهل الإعداد كذلك وكل في اختصاصه يتقاضى أجراً، ولتفترض أنني إمام وأحببت أن أتقاضى راتباً على إمامتي، ما المانع في ذلك؟ ما المانع أن يتقاضى المفتي أجراً على فتواه، ليس بحرام ولا هو ضرب من ضروب التسول، وقد نهى الإسلام عن التسول، وأنا لا أمد يدي للناس وأسألهم أن يعطوني، ولكن ما أحصل عليه نظير اجتهادي ووقتي وأعصابي، كما يحق لي أن أملي شروطي على أية قناة من القنوات الفضائية، ذلك أن الإعلام أصبح استثماراً، يأخذ الحلقة ويبطنها بالدعايات والإعلانات التجارية التي تدر عليه آلاف بل ملايين الجنيهات، فمن غير العقول أن ينال الجميع شيئاً من المال وأخرج أنا بالبركة، ذاك ليس من الإسلام في شيء، إنها بلطجة!

■ هل ثمة بلد معين عرض عليك أن تقيم على أرضه، ويتكفل بك علمياً وأديباً ويسعى إلى تطوير قدراتك؟

لا بد أن يستدل بالقرآن الكريم والسنة النبوية لا بد أن تتحقق تفسيراته وتأويلاته، كما حدث مع سيدنا يوسف عليه السلام عندما فسر رؤيا الملك لله، أمر أن لا تعبدوا إلا إياه، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يا صاحبي السجن، أرباب متفرقون خيرٌ أم الله الواحد القهار.. إلى آخر الآية الكريمة، وهذا يجربنا للحديث عن مميزات مفسر الأحلام، إذ يستوجب أن يكون داعية، حافظاً للقرآن، يجيد اللغة العربية الفصحى، دارساً للبلاغة والنحو والصرف، لا بد أن يكون متحدثاً وخطيباً مفرهاً، وأن يكون محسناً، ورعاً وتقياً.. أما ما نلحظه اليوم، فإن كثيراً من الناس يفسر الرؤى لحاجة في نفس يعقوب كما يقولون في المثل، فبعضهم يرى فيها مصدر رزق، والآخر يبحث عن الشهرة والبروز وبين هذا وذاك غايات تفسير الرؤى الصادقة!

■ هل ثمة علاقة بينكم وبين مفسري الأحلام في العالم العربي، أم ترى المسألة أصبحت ميداناً للتنافس؟
- لا يوجد تنافس أصلاً، فالتنافس يعني وجود تقارب فكري وعقلاني بين المفسرين، وأن يكون هناك اثنان أو أكثر (عالم وعالم) في مجال العلم ذاته، وأنا لا أرى عالماً في بحر تفسير الرؤى والأحلام.

■ هذا يعني أنك المفسر الوحيد بالعالم العربي الذي يمتلك خصائص وقدرات مفسر الأحلام الحقيقية؟

- أنا لا أقول هذا الكلام رياءً ولا فخراً أو عجباً، ولكني أقول ذلك من منطلق الأمانة العلمية ومن منطلق الرسالة الشرعية ومن باب "إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت"، فما يؤدي حالياً لا يرقى إلى المستوى المطلوب، عندنا في مصر كان هناك مفسران اثنان للأحلام والرؤى، فشلوا فشلاً ذريعاً..

■ وما تقييمك أنهما فشلا فشلاً ذريعاً؟

- بداية، لقد اختفا من الساحة وهذا أكبر دليل على أنهما فشلا، واحد منهما اعتذر للناس وقال أنا لا أفسر الأحلام، "ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه"، أما الثاني فهو غير مقبول لدى العامة والخاصة، وهنا لا بد من الإشارة إلى جزئية غاية في الأهمية، ذلك أن المفسر يقتضي أن تتوافر لديه المنحة أو الملكة الربانية ويصدق على ذلك مجموعة شواهد منها:

■ لا يكون كلامه مكرراً
لا بد أن يستدل بالقرآن الكريم والسنة النبوية لا بد أن تتحقق تفسيراته وتأويلاته، كما حدث مع سيدنا يوسف عليه السلام عندما فسر رؤيا الملك لله، أمر أن لا تعبدوا إلا إياه، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يا صاحبي السجن، أرباب متفرقون خيرٌ أم الله الواحد القهار.. إلى آخر الآية الكريمة، وهذا يجربنا للحديث عن مميزات مفسر الأحلام، إذ يستوجب أن يكون داعية، حافظاً للقرآن، يجيد اللغة العربية الفصحى، دارساً للبلاغة والنحو والصرف، لا بد أن يكون متحدثاً وخطيباً مفرهاً، وأن يكون محسناً، ورعاً وتقياً.. أما ما نلحظه اليوم، فإن كثيراً من الناس يفسر الرؤى لحاجة في نفس يعقوب كما يقولون في المثل، فبعضهم يرى فيها مصدر رزق، والآخر يبحث عن الشهرة والبروز وبين هذا وذاك غايات تفسير الرؤى الصادقة!

■ هل ثمة بلد معين عرض عليك أن تقيم على أرضه، ويتكفل بك علمياً وأديباً ويسعى إلى تطوير قدراتك؟

- نعم، الكثير من البلدان العربية عرضت علي ذلك، ولكنني مرتاح في بلدي الأم (مصر العربية والإسلام)، وكما تعلمين بأن الظهور الإعلامي بدأ من مصر وهي رائدة في صناعة العلوم والفنون، كما أنها مجمع للمثقفين والباحثين عن المعرفة في شتى أنحاء العالم العربي والغربي.

■ لما قرأت تقاصيل تفسيركم لحلم الراحل الفنان علاء ولي الدين، هالتي أنك صارحته بأمر وفاته، أما كان الأجدر بك أن لا تصارحه بذلك، فالموت ليس بشارة؟

- الأحلام ليست بشارة فقط، هي بشارة ونذارة، وقد فسرت له الرؤيا على ثلاث مراحل، حيث شاهد نفسه يستند إلى عصا والسوس ينخر فيها حتى سقطه، فشعرت تجاهه بالشفقة وقلت له: يا علاء اسأل الله أن يطيل في عمرك وأخبرته بأن الرؤيا غير مطمئنة، ولكنه عاود الاتصال بي مرة أخرى ليؤكد لي أنه رأى ذات الرؤيا، فطلبت منه أن يكثر من العبادة ويتقي الله، واتصل بي مره ثالثة والقلق والحيرة تساورانه ليقول لي أنه رأى ذات الرؤيا، فقلت له وأنا أداعيه لتخفيف همومه وأحزانه وقلقه، عليك أن تديح ذبيحة، لا أخفي عليك سوف تموت! وبالفعل ذبح ذبيحة ومات علاء ولي الدين (رحمه الله).. إن الموت حق، وقد قال سيدنا يوسف عليه السلام لمن كان معه في السجن: "أما أحذكم فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه".. ولكنني في المقابل لا أنفر فحسب، فقد فسرت للفتانته سمية الخشاب منذ ما يقارب العشر سنوات تقريباً حينما كانت تعمل كوميديا في مسرحية بعنوان (خربشة) مع الفنان أحمد بدير أنها ستصبح نجمة ساطعة في سماء الفن المصري وتحدث عنها الصحف ووسائل الإعلام وتتزوج من ثري عربي، وما هي اليوم فتانته مشهورة، لها حضور مميز، هذه هي الحياة أسود وأبيض، ملح وسكر، والأحلام انعكاس للواقع.

■ يبدو لي أن لك علاقة بعالم الأرواح، هل الجن يحلم أحياناً؟

- نعم الجن يحلم، لأنه مخلوق وجميع المخلوقات تحلم. وهل تستطيع أن تسهر حلم جني؟
- شريطة أن يأتيني جنّي من المنام ويحك لي رواه، أستطيع أن أفسرها، نعم.

■ وهل رأيت جنياً في حياتك؟

- لا، على الإطلاق لا علاقة لي بعالم الجن والأرواح وأستطيع أن أستشف مغزى سؤالك، أنا مفت وداع إسلامي ومفسر أحلام، ليس لي علاقة بعالم الأرواح لا من قريب ولا من بعيد.

■ يعني لا تلجأ لعالم الأرواح، وإن كان ذلك لصالح الإنسان ذاته؟

- لا أنجأ مطلقاً لذلك، وهذا الباب أغلقه على نفسي.

■ عندي رؤيا وأتمنى أن تفسرها لي، رأيت ذات مرة أنني جالسة مع زوجي، ثم فوجئت به يحسني الخمرة أمامي، فعجبت لأمره لأنه لا يقربها في الواقع، فما تأويل ما رأيت؟

- الخمره في المنام زيادة مال وزيادة رزق لمن رأى الرؤيا نفسها، سيزيدك الله من ماله وستزدادين شهرة ومعرفة وخبرة، ويدع صيتك وينتشر اسمك ويتكلم الناس عنك هنا وهناك في مجال الصحافة والإعلام ويصبح لك شأنًا عظيماً، والله أعلم.